في انتظار النوم

قصة بقلم محمد زفزاف

الطفلة مات أبوها منذ سنتين . وأمهـــا أحبت رجلا اخر ذا شاربين . والطفلة لم يبدأ العالم يتسرب الى رأسها الا مؤخرا .. لكن مجلببا بالضباب . وقفت أمها بعد أن كانت جالسة على كنبة سوداء ورأسها على احدى يديها . ذهبت الى الشرفة ، وعبثت يداها بأزهار مغروسة في أص حجري . ولبثت برهة تنظر الى ما وراء النافـــذة حيث الليل عالم غامض . ثم عادت لتجلس . وقالت أخيرا لابنتها :

ـ ألا تنامين يا سرور ؟

حدقت البنت في فخذي أمها الثريين ..

ـ ليس لدي رغبة .

ـ قومي اذهبي الى سريرك ، وستكون لديك رغبة .

وأخذتها من يدها ، فتبعتها مكرهة . ثم أعلنت لها :

ـ نامي يابنيتي .

ـ لن أنام يا ماما ..

ـ طيب . سوف يجيئك النوم .

ـ انه لن يجيئني .

ـ بل سيجيئك .

وتمددت البنت التي تبلغ السابعة . وسحبت الغطاء الى عنقها . ثم تركت رأسها عاريا ، فارتمى شعرها الاسود الشبيه بشعر أمهـــا على الوسادة الصغيرة .

ـ انه لن يجيئني .

ـ سوف آتيك به ..

ضحكت البنت . وشقشقت كالعصفورة :

ـ هل له شاربان ؟

أصاب الام تيار كهربائي فوضعت يدها على بطنها .

ـ نعم هو كذلك .

ـ اذن اذهبي وهاتي النوم معك .

ـ لا عليك .. تمددي كلك وأغمضي جفنيك .

ـ لن أغمضهما حتى تأتيني به .. هل له معطف أسود ؟

ارتعشت الام ولم تتكلم . لانه كان لعشيقها معطف أسود .

وذهبت لتفتح الباب . فقد ظنته قادما . لكنه لم يكن هو .

ـ ماما .. هل هو النوم ؟ جاء أخيرا ..

ـ أمسكي فمك ، وأغمضي عينيك ريثما أعود .

وذهبت الى الغرفة المجاورة . ووضعت يديها على حافة الشرفة . وبدأت ترقب الشارع الممتد كافعى هندية عجوز . ومن رأس الشـــارع مرقت دراجة نارية عبرت الطريق الاخرى بسرعة . وكنست الفضـــاء الاسود بنظراتها . وجمعت النجوم المنتشرة في سلتها وجعلت منهـــا عنقودا ، وذهبت به اليه . ثم قبلت شفتيه اللتين لوثتهما السجائر . وأمسكته من كتفيه فحملها الى السرير .

كانت أنامل يديها تتمسك بظهر أصص الازهار الثلاثة ، وانفهـــا قد فقد حاسته الشمية . وفي العمارة المقابلة كانت أغلب النوافـــذ مضاءة بالضوء العادي الا نافذة كانت غارقة في ضوء فرمزي أحمـــر . ونقلت خطواتها فوق أرض الغرفة بوهن . فهو لم يأت . والساعـــة تعدت التاسعة ، انها العاشرة . وفي المذياع أغنية لهفى للشقاء . وعلى الجدار صورة طفلتها معلقة تضحك بسذاجة ، وبجوارها منظر جميـــل يعبر عن رحلة ربيعية . وكانت ابنتها مغمضة الجفنين لكنها ما عتمـــت أن فتحتهما .

ـ هل جاء النوم ؟!

ـ انه لم يأت بعد ..

ـ اذا جاء أيقظيني .. سأنام الان .

ـ نامي .. وسأوقظك .

وذهبت اليها وغطت رأسها الصغير ثم أطفأت المصباح . ورحلت الى الغرفة الثانية حيث تعرت تماما وبدأت تستعرض جسدها وعنقهـــا ونهديها الكبيرين . وتوقفت عند هذين النتوئين في جسدها . وأخذت تستلذ بدعكهما . ثم أسدلت شعرها الشلال الذي كان معقوفا قبـــل لحظة . ومشطته من جدد ثم عقفته من جديد . وارتدت روبها البسيط الازرق الملون . وجلست على الكنبة . ثم تناولت من امامها مجلة نسوية .. وخفضت صوت المذياع الذي اختفت منه أغنية اللقاء . وبدأت تقلـب الصفحات : الصفحة تلو الاخرى ، حتى عثرت أخيرا على صفحـــة لا شك انها شيقة . كانت عليها صورة لامرأة أوروبية قد ارتدت فستانا لم يكن رائعا ولكنه بسيط . ولم تكلف نفسها قراءة تعليق المجلة عـــلى هذا الفستان ، بل اكتفت بتأمله وتأمل الجسد الطري تحته . وأحست ان شيئا جعل يصطفق في داخلها . غير ان هذا الشيء اختفى بمجرد سماعها طرقات متتاليات على الباب . ووضعت المجلة ثم أسرعت لتستقبل حبيبها الذي تأخر . غير ان الطرقات لم تكن على الباب الخارجـــي . ولكنها كانت داخل غرفة ابنتها . فأصاخت السمع بقلق . وذهبـــت ففتحت باب الغرفة .

ـ ألم تنامي بعد ؟

ـ النوم لم يجيء ..

وانتابها شعور تدمير هذه الصبية العنيدة . ولكنها جميلة وحلوة كقطعة سكر .

ـ لماذا تتشيطنين هكذا ؟

ـ لقد تحركت فسقط الاباجور ..

ـ اغمضي عينيك .

قالت الام بغضب . ثم أضافت بابتسامة أليمة :

ـ سأفقأ عينيك اذا لم تنامي .

ردت البنت بابتهال :

ـ اذا جاء النوم ذو الشاربين فأيقظيني ..

انصرفت الام دون أن ترد عليها . وأطفأت المصباح . ثم أقفلـــت الباب خلفها . وهرعت الى غرفتها . وسقطت على السرير تفكر فـــي

هذه البنت الملعونة .. الصبية التي تحبها وتترفزها الان . وارتفع صوت الراديو عندما آدارت زرا من أزراره الى اليمين .. كانت تسمع ولكنها لم تكن تفهم . وتحاملت على قدميها وكأنها قطعت آلاف الكيلومترات عدوا . وأحست ان أعصابها توترت . فالعاشرة مرت . والنوم بدأ يدب في الاجفان ثقيلا يخيطها بخيوط لن تنقطع الا في ساعة متأخرة من الصباح . يمكن أن يكون قادما الان .. غير ان عينيها لم ترياه خلف الشرفة فوق أحد الرصيفين . هناك شخص قصير يعرج ، ولكنه هو ليس قصيرا ولا يعرج . وهناك امرأة ترفع جلبابها قليلا لتكشف عن ساقيها كأنها ملكة سبأ في حضرة سليمان .

واختنقت من الفرح . ثم فتحت الباب . وقبلته في شاربيه .

ـ أخيرا جئت أيها الملعون .. لماذا تأخرت .. لماذا ؟

ولعنت هذه الخيالات . هو لم يجيء . وربما لن يجيء فلماذا هذه الاحلام ؟.. آه ! هل يعتبر قدومه حلما ؟! أمسكت لجام خيالاتها وحرفت طريقها الى العدم . وقالت في نفسها : يمكنني أن ألجأ الى السرير الان . هو لن يأتي بطبيعة الحال ما دام قد تأخر هذا الوقت كله .. أكثر من ساعة ونصف . وحدقت مرة اخرى في الشارع على أمل أن تلامس نظراتها شبحه المحبوب . لكن عبثا . لقد عزم على ألا يجيء هذه الليلة . وأزاحت الاصص قليلا واحدة بعد الاخرى الى اليمين . ثم انطلقت الى داخل الغرفة .. كانت في ذهنها فكرة ، لكنها لم تنفذها . وعادت الى النافذة فأغلقتها . وسحبت الغطاء من فوق سريرها « الخاص » ثم تذكرت ان ابنتها نائمة وحدها . فألقته فوق السرير ، وزحفت الى غرفة نوم ابنتها . كانت نائمة ووجهها صفحة بيضاء ليس فيها أي خربشة خبر . لم تكن ملامحها تعني شيئا . فأحاطتها بذراعيها لتقبلها فاستيقظت .

ـ ألم تنامي بعد ؟

ـ انني أنتظر النوم ..

وكان النوم قد جاء فعلا ، لكنه سرعان ما ذهب . فاثره لا يزال ظاهرا على جفنيها الصغيرين كجفني أرنبة جميلة .

وقالت الام :

ـ سأنام هنا قبالتك .. ارقدي أنت .

وأغمضت البنت عينيها .

ـ سأحاول أن أفعل .

وذهبت الام الى السرير المقابل ، وتمددت فوقه ، وسحبت الغطاء حتى عنقها .

وفتحت البنت عينيها :

ـ هل يجيئك النوم بسرعة ؟

ـ ارقدي يا بنت ..

وصمتت البنت .. لقد رأت في عيني أمها لهبا يتصاعد الى السماء باحثا عن وقود ، فخافت العاقبة وأمسكت عن الكلام ، واستغرقت في النوم .. وشعرت الام بأعضائها تتفكك . فقد سرى النعاس في جسدها المتعب . ويبدو انها لم تعد في حاجة الى عشيقها اللحظة .. قبل الساعة كان جسدها يفور . اما الان ... وأمسكت أنفاسها ...

وفكرت ألا تقوم في هذه اللحظة . لقد سمعت الطرقات بالطبع . غير ان الدم في جسدها ما عاد يفور . وترددت قليلا . ثم ـ والطرقات تتكرر ـ انتصبت كالسارية ، وطارت الى الباب ففتحته . وجلست في الغرفة الاخرى ، بينما تركا البنت غارقة في نومها في الحجرة المجاورة .. كان يعتذر لها عن تأخره . غير انها قبلت عذره بثقة وحب. وأخذت معطفه وعلقته . وجعل ينزع ثيابه ويدندن بأغنية قديمة . ثم مد يده الى المذياع وارتمى فوق السرير . فدخلت البنت عندما كانت أمها منشغلة بنفسها أمام المرآة .

ـ أخيرا .. هل جاء النوم يا أمي ؟!

ضحكت الام بنرفزة .

ـ هو ذا يا بنت .

وشرحت لعشيقها كل شيء . فقبل الصبية في شعرهاووجنتيها، وقال لامها :

ـ أعطيها قطعا من الحلوى .. انها في جيب معطفي الايمن .

فلبت الام الطلب بسرعة ، وانتزعت منه الطفلة بحنان وذهبت بها الى غرفتها ، وقالت لها :

ـ يمكنك أن تنامي الان ..

ـ سأفعل ، ولكن بعد أن آكل حلواي .

وتركتها .. وأغلقت الباب خلفها . لكن الطفلة لم تأكل حلواها . بل وضعتها عند مخدتها وذهبت في نوم عميق .

كلية آداب الرباط — **محمد زفزاف**

التخطيط التربوي

تأليف

الدكتور عبد الله عبد الدائم

كتاب يقدم صورة شاملة عن مبادىء التخطيط التربوي وأساليبه الفنية ، وعن المعلومات والبيانات المختلفة اللازمة لوضع خطة تربوية ، وعن مراحل وضع الخطة وانفاذها وعن أجهزة التخطيط ، وعن واقع التخطيط التربوي في البلدان العربية ، وعن كل ما يتصل بوضع خطة علمية للتربية ضمن اطار الخطة الاقتصادية والاجتماعية العامة للدولة .

انه كتاب المسؤول عن سياسة التربية ، كما هو كتاب المشتغل في مكاتب التخطيط وفي ادارة التربية ، وكتاب المربي حيث كان .

منشورات دار العلم للملايين